

العلماء أمناء الله على خلقه وهو شرف عظيم ومحل لهم في الدين خطير

أهل الذكر هم أصحاب العلم الذين لا تنقطع أعمالهم الصالحة بموتهم

فضل الله العلماء وجعلهم خير خلقه وخاصته ونسبهم إليه، حتى أنه سبحانه جعل الملائكة والحياتان والشمل يستغفروا للعالم ومن الفضائل التي خص الله بها العلماء:

أولاً: العلماء هم الثقات قال الله تعالى: «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم».

فأهل العلم هم الثقات العدول الذين استشهد الله بهم على أعظم مشهود، وهو توحيد جل وعلا . ثانياً: مديح الله تعالى للعلماء وقد مدح الله أهل العلم وأثنى عليهم، فجعل كتابه آيات بينات في صدورهم ، به تتشرح ونفوح وتسد.

قال الله تعالى: «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد باياتنا إلا القائلون».

ثالثاً: العلماء ورثة الأنبياء وهم أهل الذكر، الذين أس الناس بسؤالهم عن عدم العلم قال الله تعالى: «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون».

رابعاً: رفع درجات أهل العلم والإيمان خاصة قال تعالى: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات».

خامساً: لا ينقطع عمل العالم بموته بخلاف غيره ممن يعيش ويموت ، وكانت من سبل للنفع ، أما أهل العلم الربانيون الذين ينتفع بعلمهم من بعدهم هؤلاء يضاعف لهم في الجزاء والأجر شريطة الإخلاص وستحدث عن هذه النقطة مطولاً في المقالات التالية إن شاء الله تعالى.

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

سادساً: رحمة الله تنتزل على العالم والمتعلم وكل ما في الدنيا هالك وإلى زوال، تنتزل على العلماء، والمرحوم من ذلك صفان من الناس: أهل العلم وطلبتة، والعابدون المذكورون الله كثير.

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إلا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم».

سابعاً: بالعلم يكثر أجر العامل وبالعلم يعظم أجر المؤمن، ويصحح دينه، فيحسن عمله، وإذا كان الناس لا يشغفون بالمال عن العلم، فإن فضل العلم على المال أعظم، وقد فصل لنا الشرع في هذه القضية، فقد قسم رسول الله الناس على أصناف أربعة، جعل الناجين منهم صفين، وهما من تلبث بالعلم.

فمن أبي كبشة الأنباري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ثلاثة أسم عليهن، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، قال: ما

■ رحمة الله تنتزل

■ على العالم والمتعلم

■ .. والمرحومون

■ من الناس صفان

■ أهل العلم وطلبتة

■ والذاكرون الله كثيراً

■ يكفي صاحب العلم

■ فضلاً أن الله يسخر

■ له كل شيء ليستغفر

■ ويدعو له

■ لا حسد إلا في

■ اثنتين رجل آتاه

■ الله مالا فسلطه على

■ هلكته في الحق ورجل

■ آتاه الله الحكمة فهو

■ يقضي بها ويعلمها

■ نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم

عبد مظلمه ففسر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه وإن لم ينلق.

ثامناً: الاستغفار للعالم ويكفي صاحب العلم فضلاً أن الله يسخر له كل شيء ليستغفر له ويدعو له، فمن أس من مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صاحب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر».

تاسعاً: طلبه العلم هم وصية

رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيأتيكم الأيام بطليون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحباً بوصية رسول الله وأنفوهم-علوهم».

عاشراً: إشراقه وجود العلماء

ونضارتها وأهل العلم الذين

يبلغون الناس شرع الله تعالى

هم أنضر الناس وجوهاً، وأشرفهم

مقاماً، بدعاء رسول الله صلى الله

عليه وسلم لهم.

قال صلى الله عليه وسلم: «نضر

■ ، ولذلك استحق أن يكون يأخيث

المنازل، والعباد بالله،

وجعل العالم يعرف قدر المال

الحقيقي، فم ينلق؟ فليعلم نوى

نية صادقة فصار بأعلى المنازل،

وإن لم ينلق.

ثامناً: الاستغفار للعالم ويكفي

صاحب العلم فضلاً أن الله يسخر

له كل شيء ليستغفر له ويدعو له،

فمن أس من مالك رضي الله عنه

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: «صاحب العلم يستغفر له كل

شيء حتى الحوت في البحر».

تاسعاً: طلبه العلم هم وصية

رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمن أبي سعيد الخدري رضي الله

عنه قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: «سيأتيكم الأيام

بطليون العلم، فإذا رأيتموهم

فقولوا لهم: مرحباً بوصية رسول

الله وأنفوهم-علوهم».

عاشراً: إشراقه وجود العلماء

ونضارتها وأهل العلم الذين

يبلغون الناس شرع الله تعالى

هم أنضر الناس وجوهاً، وأشرفهم

مقاماً، بدعاء رسول الله صلى الله

عليه وسلم لهم.

قال صلى الله عليه وسلم: «نضر

■ الله امرا سمع مقالتي فليجعلها، فرب

حامل لفة غير فقيه، رب حامل لفة

إلى من هو الله».

حادى عشر: مئة الله على أنبيائه

بالعلم ومن شرف العلم وفضله أن

الله آمن على أنبيائه ورسله بما

اتاهم من العلم، دلالة على عظم

المئة.

ذكر نعمته على نبينا محمد

صلى الله عليه وسلم فقال الله

تعالى: «وانزل الله عليك الكتاب

والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم

وكان فضل الله عليك عظيماً».

وعلى خليله إبراهيم قال تعالى:

«إن إبراهيم كان أمّة قائمة لله

حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً

لأنعمه»، وعلى نبيه يوسف «وما

بلغ أشده أتيته حكماً وعلاً وكذلك

نجزي المحسنين»-وعلى كليمه

موسى: «وما بلغ أشده واستوى

أتيته حكماً وعلاً وكذلك نجزي

المحسنين»-وعلى المسيح عيسى

بن مريم: «يا عيسى بن مريم أذكر

نعمتي عليك وعلى والدك إذ أبدتك

مروج القدس تكلم الناس في المهد

وكلوا وأذ عنك الكتاب والحكمة

والنوراة والإنجيل».

ثاني عشر: شرف الانتساب إليه

■ قال علي بن أبي طالب: ومن شرف

العلم وفضله أن كل من نسب إليه

فرح بذلك، وإن لم يكن من أهله، وكل

من دفع عنه ونسب إلى الجبل عز

عليه ونال ذلك من نفسه، وإن كان

جاهلاً.

ثالث عشر: العلماء هم أكثر

الناس خشية من الله تعالى قال

الله تعالى:«إنما يخشى الله من

عباده العلماء».

وقال تعالى: «إنّ الذين أوتوا

العلم من قبله إذا بُتِيَ عليهم

بُحُورٌ للأمان سُجداً ويقولون

سُبْحَانَ رَبِّنا إِنّا كنّا من قبله

لغفولاً وبُخِرُونَ لِلأمان فيكون

وَيُرِيدُكُمْ خُسُوعاً».

رابع عشر: العلماء من الفضل

المجاهدين إذ من الجهاد، الجهاد

بالحجة والبيان، وهذا جهاد الأئمة

من ورثة الأنبياء، وهو أعظم منفعة

من الجهاد، وهذا لشرف الصنيعة.

وبذل العلم، وهذا لشرف الصنيعة.

وحد الناس على التماس في وجوه

الخير. عن عبدالله بن مسعود قال:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا

حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله

مالاً أسلطه على خلقه في الحق،

ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي

بها ويعلمها».

■ لم يكونوا يقاتلون المسلمين، بل

كانوا معهم في الظاهر، وربما كانوا

يقاتلون عدوهم معهم . ومع هذا

لقد قال تعالى: «يا أيها النبي جاهد

الكفار والمنافقين واغلب عليهم،

وعلوهم أن جهاد المنافقين بالحجة

والقرآن.

والمقصود أن سبيل الله هو

الجهاد، وطلب العلم، ودعوة الخلق

به إلى الله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: «من جاء مسجدي هذا لم يأتني

إلا أخير بعلمه أو يعلمه فهو في

منزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن

جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل

الذي ينظر إلى منافع غيره».

عشر: شرف العلماء ببذل علمهم

«التناس على بذل العلم، ولم يجعل

الله التحاسد إلا في أمرين: بذل المال،

وبذل العلم، وهذا لشرف الصنيعة.

وحد الناس على التماس في وجوه

الخير. عن عبدالله بن مسعود قال:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا

حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله

مالاً أسلطه على خلقه في الحق،

ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي

بها ويعلمها».

■ مواقف من السيرة

■ تجارة النبي لخديجة

■ وزواجه منها

كانت خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- امرأة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال ليشجروا بمالها، فلما بلغها عن محمد -صلى الله عليه وسلم- صدق حديثه، وعلم أمانته، وكرم أخلاقه، عرضت عليه أن يخرج بمالها إلى الشام تاجراً وتعلمه أفضل ما تعلمه غيره من التجار، فقبل وسافر معه غلامها ميسرة، وقدم الشام، وباع محمد- صلى الله عليه وسلم -سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد من السلع، فلما رجع إلى مكة وباعت خديجة ما أحضره لها تضاعف مالها.

وقد حصل محمد- صلى الله عليه وسلم - في هذه الرحلة على فوائد عظيمة بالإضافة إلى الأجر الذي ناله، إذ مر بالمدينة التي هاجر إليها فيما بعد، وجعلها مركزاً لدعوته، وبالملاذ التي فتحها ونشر فيها دينه، كما كانت رحلته سبباً لزاوجه من خديجة - رضي الله عنها-بعد أن حدثها ميسرة عن سماحته وصدقه وكريم أخلاقه، وراحت خديجة في مالها من البركة ما لم تر قبل وأخبرت بشمالكه الكريمة، ووجدت ضالتها للشهوة، فتحدثت بما في نفسها إلى صديقها نفيسة بنت منبه، التي ذهبت إليه فطافحه أن يتزوج خديجة -رضي الهل عنها فرضي بذلك، وعرض ذلك على أعمامه، فوافقوا كذلك، وخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب فخطبها إليه، وتزوجها رسول الله -صلى الله عليه وسلم -وأصدقها عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله -صلى الله عليه وسلم، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت - رضي الله عنها-، وقد ولدت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم غلامين وأربع بنات، وأبناهما هما القاسم، وبه كان -صلى الله عليه وسلم يكنى وعبدالله، ويلقب بالطاهر والطيب. وقد مات القاسم بعد أن بلغ سنًا تمكنه من ركوب الدابة، ومات عبدالله وهو طفل، وذلك قبل البعثة.

أما بقاته فهن: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة - رضي الله عنهن-، وقد أسلمن وهاجرن إلى المدينة وتزوجن. هذا وقد كان عمر الرسول -صلى الله عليه وسلم -حين تزوج خديجة -رضي الله عنها- خمسًا وعشرين سنة، وكان عمرها أربعين سنة.

■ فوائد وعبر

1- إن الأمانة والصدق أهم مواصفات التاجر الناجح، وصفة الأمانة والصدق في التجارة في شخصية النبي -صلى الله عليه وسلم - هي التي رغب السيدة خديجة - رضي الله عنها - في أن تعلمه مالها ليتاجر به ويسافر به إلى الشام، فيارك الله لها في تجارتها، وفتح الله لها من أبواب الخير ما يليق بكرم الكريم.

2- إن التجارة مورد من موارد الرزق التي سخرها الله سبحانه وتعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة، وقد تدرّب النبي - صلى الله عليه وسلم على فنونها، وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن التاجر الصدوق الأمين في هذا الدين يحضر مع الصديقين والشهداء والنبيين، وهذه المهمة مهمة للمسلمين ولا يقع صاحبها تحت إرادة الآخرين واستعدادهم وقهرهم وإذلالهم، فهو ليس في حاجة إليهم، بل هم في حاجة إليه ويحاجة إلى خبرته وأمانته وعفته.

3- كان زواج الحبيب المصطفى - رضي الله عليه وسلم - من السيدة خديجة - رضي الله عنها - بتقدير الله تعالى، ولقد اختار الله سبحانه ونعالي لنبيه زوجة تتناسبه وتؤازره، وتختلف عنه ما يصيبه، وتعينه على حمل تكاليف الرسالة وتعيش مصومه.

قال الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله-: وخديجة - رضي الله عنها - مثل طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، إن أصحاب الرسالات - صلوات الله وسلامه عليهم - يحسون قولاً شديدة الحساسية، ويلقون غيثاً بالغاً من الواقع الذي يريدون تغييره، ويحسون بهذا كبيراً في سبيل الخير الذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإنكاس والتركيب، وكانت خديجة - رضي الله عنها-سباقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد- صلى الله عليه وسلم- أثر كريم.

■ أبو بكر الصديق صاحب

■ النبي « المطلق »

الفضيلة في الغار قفارة بخص القرن، وقد جاء في الصحيحين من حديث أنس عن أبي بكر، قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا، فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما». وهذا الحديث مع كونه مما انلق أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول، فلم يختلف في ذلك اتقان منهم، فهو يماثل القرآن على معناه، أنه صاحبه المطلق لقوله تعالى: «إذ يقول لصاحبه: لا يخص بمصاحبه في الغار: بل هو صاحبه المطلق الذي عمل في الصحبة، كما لم يشركه فيه غيره فصار مختصاً بالأكلية من الصحبة، وهذا مما لا نزاع فيه بين أهل العلم بأحوال النبي، ولهذا قال من قال من العلماء: إن فضائل الصديق خصائص لم يشركه فيها غيره.

أنه المشفق عليه لقوله تعالى «لا تحزن» فهو يدل على أن صاحبه كان مشفقاً عليه محباً له، ناصراً له حيث حزن، وإنما يحزن الإنسان حال الخوف على من يحبه، وكان حزنه على النبي لئلا يقتل ويذهب الإسلام، ولهذا لما كان معه في سفر الهجرة كان يمشي أمامه تارة، ووراء تارة، فسأله النبي عن ذلك، فقال: أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الصل فأكون وراءك، وفي رواية أحمد في كتاب «فضائل الصحابة»: فعمل أبو بكر يمضي خلفه ويمضي أمامه، فقال له النبي: «ما لك؟» قال: يا رسول الله، إذا كنت أمامك خشيت أن تؤذي من وراءك، وإذا كنت خلفك خشيت أن تؤذي من أمامك، قال: لما انتهبنا إلى الغار قال أبو بكر: يا رسول الله، كما أنت حتى أقف». فلما رأى أبو بكر جحرًا في الغار فالفهما قدمه، وقال: يا رسول الله، إن كانت لسعة أو لدغة كانت بي فلم يكن يرضى بمساواة النبي: بل كان لا يرضى بأن يقتل رسول الله وهو يعيش، كان يخاف أن يلغيه بنفسه وأهله وماله، وهذا واجب على كل مؤمن، والصدیق أقوم المؤمنين بذلك.

المشارك له في معية الاختصاص لقوله تعالى «إن الله معًا» صريح في مشاركة الصديق للنبي في هذه المعية التي اخضع بها الصديق لم يشركه فيها أحد من الخلق، وهي تدل على أنه معهما بالنصر والتأييد، والإعانة على عدوهم. فيكون النبي قد أخبر أن الله ينصرنه وينصره في أبا بكر، ويعينهما عليهم، نصر إكرام ومحبة، كما قال الله تعالى: «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد». وهذا غاية المدح لابي بكر إذا دل على أنه من مثل الرسول بالإنيمان المقتضي نصر الله له مع رسوله في سبيل هذه الحال التي يخذل فيها عامة الخلق إلا من نصره الله.

دروس من سورة النور

لا يزني الزاني وهو مؤمن

«سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تتقون»، مطلع فريد في القرآن كله الجديد فيه كلمة «فرضناها» والمقصود بها - فيما تعلم - توكيد الإخذ بكل ما في السورة على درجة سواء. ففرضية الآداب والأخلاق فيها كفرضية الحدود والعقوبات. هذه الآداب والأخلاق المركوزة في الطهارة، والتي ينشأها الناس تحت تأثير المغريات والانحرافات، فتذكرهم بها تلك الآيات البينات، وتردهم إلى متعلق الفطرة الواضح المبين.

حد الزنا

وينبع هذا الملغ الغوي الصريح الجازم ببيان حد الزنا، وتقلع هذه الفعلة التي تقع ما بين فاعليها وبين الأئمة المسلمة من وشائج وأرتباطات: «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزاني لا يتكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا يتكحها إلا زان أو مشرك، وحرم ذلك على المؤمنين». كما حد الزانيين في أول الإسلام ما جاء في سورة النساء: «واللذان يأتان الفاحشة من نسائك فاستشودوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سيلا». فكان حد المرأة الحسنى في البيت والأذى بالتعبير، وكان حد الرجل الأذى بالتعبير.

لم أنزل الله حد الزنا في سورة النور فكان هذا هو (السبيل) الذي أشار إليه من قبل آية النساء.

والجلد هو حد البكر من الرجال والنساء وهو الذي لم يحسن بالزواج ويوقع عليه متى كان مسلما بالغاً عاقلًا حرا فلما لحسن وهو من سبق له الزودة في تكاح صحيح وهو مسلم حر بالغ فحده الرجم.

وقد ثبت الرجم بالسنّة. وثبت الجلد بالقرآن، ولما كان النص القرآني مجملا وعمام - وكان رسول الله - ص - قد رجم الزائنين المحسنين، فقد تبين من هذا أن الجلد خاص ببغير المحسن.

وهناك خلاف فقهي حول الجمع بين الجلد والرجم للمحسن والجهور على أنه لا يجمع بين الجلد والرجم كما أن هناك خلافا فقها حول تغريم الزاني غير المحسن مع جلده وحصول حد الزاني غير الحر وهو خلاف طويل لا ندخل في تفصيله هنا، يطلب في موضعه من كتب الفقه إنما نخشي نحن مع حكمة هذا التشريع - فترى أن عوبة البكر هي الجلد، وعوبة

■ إقامة الحد في مشهد عام تحضره مجموعة أوجع وأوقع

■ في نفوس الفاعلين والمشاهدين فلا تتكرر الفعلة

■ المحسن هي الرجم - ذلك أن الذي سبق له الزودة في

تكاح صحيح - وهو مسلم حر بالغ - قد عرف الطريق الصحيح للتكيف وجريه، فعدوله عنه إلى الزنا يعني

بفساد فطرته وانحرافها، فهو جدير بتشديد العقوبة،

بخلاف البكر الغفل الغر، الذي قد يندفع تحت ضغط

الميل وهو غريب، وهناك فارق آخر في طبيعة الفعل

للمحسن ذو تجربة فيه تجعله يتذوقه ويستجيب

له بدرجة أعق مما يتذوقه البكر فهو حري بعقوبة

كذلك أشد.

والقرآن يذكر هنا حد البكر وحده - كما سلف -

فيحدد في الإخذه، دون تسامح ولا هوادة:

«الزاني لا يتكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا

يتكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين

والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء

فاجلدوهم مائة جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا

وأولئك هم الفاسقون». إلا الذين تابوا من بعد ذلك

وأصلحوا فإن الله غفور رحيم».